هذا الواقع، اي واقع كون حركة التحرر الوطني، او الحركة الديمقراطية، تمثل في بلد ما الاقلية، لا الاكثرية، تحتاج الى دراسة نظرية وسياسية معمقة من جانب القوى التقدمية العالمية؛ لان العفوية في هذا المجال تجعل الحركات النضالية، التحررية او الديمقراطية، تلتبس بالكثير من حركات الثورة المضادة. مثلا، الحركة الكتائبية في لبنان، او حركة المرتزقة ضد نيكاراغوا في الهندوراس، او حركة السيخ المحرضين من الخارج في الهند، الخ، هي وامثالها تصورها الرجعية الدولية على انها من نوع حركات التحرر.

ربما الحل النظري والعملي في هذا المجال يكمن في الاتجاه نحو تجنيد الشرائح الديمقراطية والبروليتارية من عنصر الاغلبية في المعركة؛ لانه، مثلا، ليس من مصلحة الشرائح الديمقراطية والبروليتارية الانكلو ساكسونية ونظيراتها الارلندية وجود الحكم الارستقراطي - البورجوازي، الانكليزي والارلندي معا، في قمة البلاد، ومن مصلحة الجميع الكفاح ضده. كذلك الامر في اية مناطق اخرى. حينئذ يكون الكفاح الديمقراطي والتحرري اقوى بكثير، وينطوي على امكانات النجاح. بالعكس، إذا اخذ الكفاح التحرري طابع عنصر ضد عنصر، يزداد تعصب العنصر المقابل، ويلتف بشكل اقوى واعنف حول زعاماته الاشد رجعية. مثلا، اليهود الشرقيون هم مضطهدون في اسرائيل وتُطبق عليهم انواع التمييز العنصري، ومع ذلك يلتفون، بنسبة كبيرة، حول الليكود، الكتلة الاشد رجعية في اسرائيل، لان هذه الكتلة تقوم بتسعير غرائزهم العنصرية ضد العرب، وتدغدغ احلامهم الاستيطانية، بان تصور لهم انهم سيكونون الورثة لثروات المنطقة.

القضية الفلسطينية، في هذا المجال، هي من القضايا الحساسة والمعقدة، لكن ثمة ضرورة في كل الحالات، كي تشارك الشرائح الديمقراطية والبروليتارية اليهودية في الكفاح الديمقراطي داخل اسرائيل، وفي الكفاح من اجل الانفصال عن الامبريالية داخل اسرائيل او ضمن الجاليات اليهودية في الخارج، وفي الكفاح من اجل تسوية سلمية وعادلة في الشرق الاوسط، طبعا، يمكن ان تنشط التنظيمات الديمقراطية اليهودية في هذا الاتجاه، وهي تعرف اهمية ذلك وحيويته، سواء بالنسبة ليهود اسرائيل انفسهم ام بالنسبة ليهود الخارج. لكن تستطيع، في نفس الوقت، منظمة التحرير الفلسطينية والقوى العربية التقدمية الاخرى والقوى الديمقراطية والتقدمية العالمية، ان تعمل الكثير، ايضا، في سبيل ذلك.

خامسا: ان العمل المسلح غير المسؤول، والذي ليس سوى نوع من التحرش بالطرف الامبريالي - الاسرائيلي، ويقدم ذريعة لهذا الطرف كي يمارس شراسته ويقوم باعماله العدوانية المعروفة، ليس فقط غير قابل للتصنيف في اطار الكفاح المسلح التحرري، وانما، ايضا، يتناقض، على خط مستقيم، مع مصلحة القضية الفلسطينية.

سادسا: ان العمل المسلح الفلسطيني يتناقض، بمقدار ما يكون جديا، مع الانظمة العربية المعتدلة، وهذا التناقض ليس امرا سهلا، لانه يتناقض، مثلا، والاستخدام الاستراتيجي لحدود الاردن الطويلة مع الاراضي المحتلة، وربما ينعكس بشكل خطير على حياة الفلسطينيين في البلدان العربية، وعلى اسلوب التعامل بين الانظمة العربية والمنظمة، بل ولا بد ان ينعكس على ميزانية المنظمة نفسها.